

مقومات بجاية الحضارية قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

د.ة/ كاهينة قبايلي
المدرسة العليا للأساتذة
- بوزريعة -

المخلص:

تقع مدينة بجاية شرق الجزائر العاصمة على بعد 250 كلم. تحتوي على ميناء يطل على خليج بجاية، هذا ما أكسبها أهمية خاصة وجعلها مركزا تجاريا كبيرا.

خلال العصور الوسطى لعبت بجاية دورا هاما في تاريخ بلاد المغرب، حيث تحولت الى عاصمة دولة الحماديين ومركز للنشاط الاقتصادي، الثقافي، والعلمي. ولم تكن هذه الأهمية وليدة هذا العصر، فموقع الميناء جذب أنظار القدماء منذ وقت مبكر، حيث اتخذه الفينيقيون محطة تجارية، وبعد تراجع قوتهم بسطت قرطاجة نفوذها في مستوطناتهم ومحطاتهم التجارية فوكت بجاية في يدها. ليتحول الميناء بعد ذلك الى أملاك نوميديا ثم موريطانيا، وأخيرا روما.

الكلمات المفتاحية: بجاية، صالداي، الجزائر، الميناء، التجارة.

Résumé :

La ville de Bejaia située à 250 km de la capitale Alger. Elle se trouve au fond d'une baie ouverte sur le golfe de Bejaia, un centre actif de trafic maritime.

Au moyen âge, la ville de Bejaia a joué un rôle fondamental dans l'Histoire du Magreb, cette ville devient la capitale d'un état puissant dirigé par les rois Hammadides et un des principaux centres économiques, culturels et scientifiques. Son importance stratégique a été reconnue depuis l'Antiquité, par les phéniciens, les Carthaginois, les berbères et enfin les romains.

Mots-clés: Bejaia, Saldae, Algérie, Port, Commerce.

مقدمة:

ازدهرت الحضارة في منطقة بلاد المغرب بعد انتشار الاسلام فيها. وأصبحت منار للعلم والحضارة. فتميزت بفنونها، صناعاتها، نظمها الدينية، بأدابها وعلومها. كما ظهرت فيها مدن كثيرة احتلت منزلة رفيعة في العالم الإسلامي ومنها مدينة بجاية، التي شهدت في هذا العصر رخاءً اقتصادياً وغنىً اجتماعياً، وتحولت الى مركز ثقافي وعلمي، تأتي اليها الوفود المتعطشة للثقافة من مختلف الامصار.

والسؤال المطروح هنا: هل هذا المستوى المتقدم الذي وصلت اليه بجاية في العصر الوسيط هو وليد هذا العصر أم جاء نتيجة لما أنجزه انسان المنطقة في العصور السابقة؟

1- موقع المدينة:

لدراسة مكانة أي مدينة من الجانب الحضاري لا بد من التطرق ولو بإيجاز الى خصائصها الجغرافية، لما لها من تأثير على تطور المدينة عبر العصور.

تقع مدينة بجاية شرق الجزائر العاصمة وتبعد عنها ب 250 كلم. وهي مقر الولاية التي اخذت اسمها بعد ترقيتها طبقا للمرسوم الوزاري رقم 74- 129 المؤرخ بتاريخ 12 جويلية 1974.¹

تتميز مدينة بجاية بموقعها الرائع الذي يجمع بين زرقة البحر وخضرة الطبيعة وشماخة الجبل، اذ تشغل رقعة جغرافية تمتد في الواجهة الجنوبية الشرقية لجبل قورايا، وللخاصية التي يتمتع بها هذا الجبل وهي التوجه من الشرق الى الغرب والامتداد داخل البحر في شكل شبه جزيرة ترتفع باتجاه الشرق، نجد المدينة تتجه نحو الجنوب الشرقي، لتطل على خليج مفتوح الى الشرق، أين يجري وادي الصومام² الذي ينتهي في البحر عند المدينة بعد قطعه 210 كلم. وهو وادي ينتمي الى الأودية التلية الهامة التي تصب في البحر المتوسط، يرفده في جهاته العليا وادي بوسلام (Bou Sellam) الذي يلتقي في مدينة أقبو بوادي الساحل (Sahel) المجرى الأساسي له،³ ويمتاز بديمومة جريانه، لأنه يتغذى من الامطار الغزيرة وذوبان ثلوج المرتفعات التلية والاطلسية.⁴

هذا الموقع الحصين جذب انتباه الكثير من الرحالة والمؤرخين، حيث قال عنها الشريف الإدريسي بأنها مدينة " على البحر لكنها على جرف حجر،" ⁵ أما حسن الوزان قال أنها تمتد عرضاً على خاصرة الجبل. ⁶ وقال محمد العبدري البلنسي " ... مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية ... موضوعة في أسفل سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر. مشرفة عليهما أشرف الطبيعة متحصنة بهما منيعة." ⁷ وهو نفس الوصف الذي جاء به مؤلف مجهول في قوله " ... مدينة عظيمة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، وبحر منها في ثلاث جهات: في الشرق والغرب والجنوب..." ⁸.

يبدو أن هذا الموقع الهام أهلها لتظل لقرون طويلة مدينة حصينة، ولم يكن حالها كحال المدن التي تراجعت أهميتها وأصبحت مهجورة، ولم يبق منها سوى الأطلال. بينما مدينة بجاية حافظت على مكانتها عبر العصور، ففي نفس الموقع الذي شيدت فيه المدينة الحالية بنيت فيه المدينة الرومانية، ⁹ مع الإشارة إلى أن المدينة الحالية حيزها الحضري أكثر اتساعاً وهو قابل للتمدد استجابة لمتطلبات الحياة. كما أنها تحولت إلى عاصمة دولة لأول مرة في تاريخها، بعد أن تم اختيارها من قبل الحماديين في 1065م/ 460هـ ¹⁰ بعناية وتدبير، حيث كانت جل الطرق إليها صعبة ووعرة، ولم يكن لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب، والتي لا يدخل إليها إلا من يبعث إليه. ¹¹

يسود مدينة بجاية مناخ البحر المتوسط الرطب الذي يتميز بالاعتدال والتهاطل الشتوي، ¹² الذي يبدأ بعد نزول أمطار الخريف ومعها يبدأ الطقس المتقلب، فيه تتناوب الجو المتقلب والسماء الصافية إلى غاية شهر أبريل، ¹³ وهذه الأمطار تحملها الرياح الشمالية والغربية اللتان تهبان على المنطقة، تتشبعان ببخار الماء وتلتطم بالجبال. ¹⁴ ثم تقلّ الفترات الممطرة بالتدرج حيث يبدأ فصل الصيف الذي كثيراً ما يكون باكر ومعتدل الحرارة على السواحل ويدوم حوالي شهرين ونصف. ¹⁵ وفيها يصل المتوسط السنوي لهطول الأمطار 819 ملم ومتوسط درجة الحرارة السنوي 23 درجة مئوية. ¹⁶ وعلى ما يبدو أن مناخ المنطقة الحالي، لم يطرأ عليه أي

تغيير حسب ستيفان غزيل (Stéphane Gsell) منذ أن استقر المناخ، وربما كان فقط أكثر رطوبة وحرارة مما عليه اليوم.¹⁷ اكتسبت مدينة بجاية أهمية استراتيجية لوجود الميناء الواقع في خليج بجاية، الذي يصنّف ضمن أكبر خلجان الجزائر، الممتد بين رأس كربون (Cap Carbon) ورأس العافية (Rass Afia).¹⁸ الذي ارتبط تكوينه بظهور البحر الأبيض المتوسط، الناتج عن حطام مشنت لكنتة صخرية إلتوائية قديمة مكونة من الناييس (gneiss) والشيست (schiste) رفعت سلسلة كلسية جنوبا، وهذه الكنتة عُمرت بالماء لتغطي حاليا جزء من المساحة المشكّلة لهذا البحر، مما نتج عنه خليج بجاية الذي يتمثل في حفرة مجوفة سببها هذا الانهيار الذي حدث في فترة البليوسان (Pliocène). وعقب هذا حدثت ظاهرة بركانية على حواف الانكسار،¹⁹ ما يفسر طبيعة الصخور النارية التي بنيت عليها المدينة.²⁰

يظهر خليج بجاية في شكل نصف دائرة مفتوحة نحو البحر.²¹ ولا يحتوي الا على ميناء أمن في جهته الغربية، وهو ميناء بجاية²² الموجود في موضع تتقاطع فيه دائرة عرض 36.45N وخط طول 05 E 5°. وهو ميناء يمكن للسفن بطول 853 قدم بغاطس 41 قدم أن ترسو فيه. وما زاد عن ذلك يكون بطلب الإذن. أما بقية موانئ الخليج الموجودة في الجانب الشرقي فهي غير صالحة للرسو. فميناء خليج تازة الواقع في موضع تتقاطع عنده دائرة عرض 36.42N وخط طول 32 E 5°، يستحسن تجنبه بالرغم من حصوله على اذن رسو السفن والبواخر، لا سيما في المواسم الرديئة. أما الموانئ الأخرى كميناء المنصورية الواقع في موضع تتقاطع عنده دائرة عرض 36.41N 29 E 5°، يستعمل للسفن الصغيرة والتي تكون لأصحابها دراية كافية بطبيعة المنطقة.²³

يشكل ميناء بجاية حوضا طبيعيا واسع من المياه (أنظر الصورة 1)، محميا من الدوامات الهوائية والامواج الصاخبة سواء من الغرب والشمال الغربي ومن الشمال بالرووس المرتفعة،²⁴ فهو بعيد عن الرياح الشمالية الغربية عكس المنطقة الشرقية للخليج المعرضة لها وللتيارات القادمة من جبل طارق التي تحمل رواسب وتلقي بها على حافته.²⁵ كما أن تقوس خليج سيدي يحي أو جون دار الصناعة زادا من حماية الميناء من التدفقات الشرقية والشمالية

الغربية، لذا تكون شواطئه المنخفضة مواتية لرسو السفن. وباستطاعة مصب نهر الصومام أن يكون ميناءً طبيعيًا آخر، حيث يشكل مجراه الأسفل مرسى ورسيف لرسو السفن،²⁶ ويبدو من كلام الشريف الإدريسي أنه استعمل في العصور الوسطى لهذا الغرض، حيث ذكر هذا عند وصفه للمدينة بقوله: " وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبل جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليل ويجوز من شاء في كل موضع منه..."²⁷



الصورة 1. ميناء بجاية
صورة مأخوذة عن طريق الأقمار الصناعية من موقع
Google Earth.com
استخرجت بتاريخ: 19 / 09 / 2019 على الساعة 12 سا 23 د و 59 ثا.

2. الميناء يشهد نشاط ملاحى تجارى مبكر:

كانت حوض واد الصومام وساحل خليج بجاية موطناً لجماعات ما قبل التاريخ، حيث بقيت آثاره في الملاجئ الصخرية من عظام وأدوات حجرية وفخارية ونحاسية. ومن المواقع الأثرية التي تشهد على ذلك موقع كهف علي باشا (Ali Bacha)،²⁸ ومغارة غلدمان،²⁹ وموقع أفلو بو رمال (Afalou-bou- Rhummel).³⁰ وملجأ غير بعيد عن قمة القردة (Pic des singes).³¹ غير أن الآثار لم تكشف إلى حد الآن عن وجود نشاط في الميناء قبل مجيء البحارة الفينيقيين، الذين استعملوه كمحطة للاستراحة لتجأ إليه القوارب والسفن، والذي تحول إلى ميناء ذو أهمية كبيرة في الفترات اللاحقة.³² حيث كانت هذه المحطة ضمن فلك من المحطات المتقاربة التي أسسها هؤلاء البحارة على طول الشريط الساحلي الجنوبي والشمالى للبحر المتوسط، وهي محطات قريبة من الساحل لتفادي التعمق في وسط البحر خوفاً منه أو لأن السفن غير مهيأة لتجوبه، ويطلق على هذا النوع من الرحلات اسم المساحلة أو الملاحة قرب السواحل، والتي تتم في النهار بالاعتماد على الرؤية بالعين المجردة، وفيها تقطع مسافة بين ميناء وآخر من خمسة وعشرين إلى ثلاثين ميلاً بحرياً.³³



الخريطة 1. صالداي ضمن المحطات الفينيقية في بلاد المغرب

المرجع: بتصرف من: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في
غربي البحر المتوسط، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،
عين مليلة، 2003، ص 89.

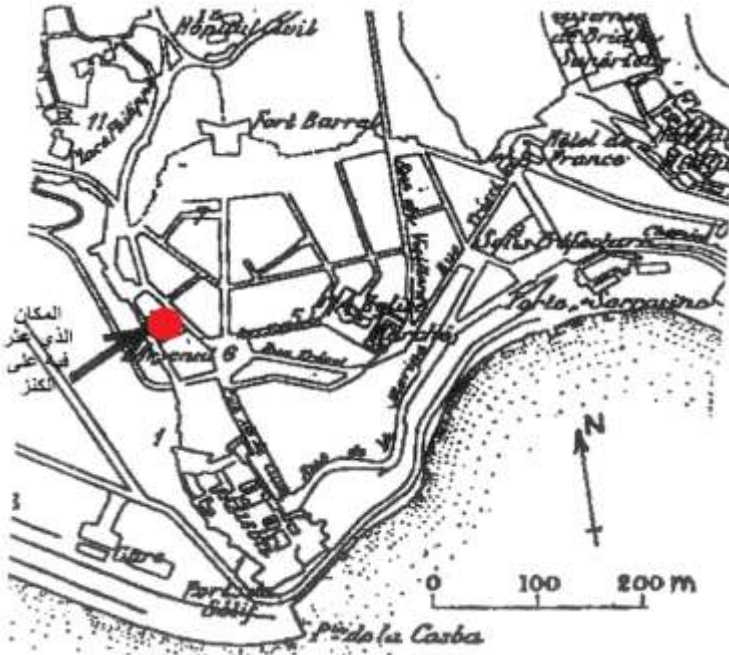
وبهذا تكون محطة صالداي ضمن طريقها الجنوبي الذي يمر من
مصر، برقة، طرابلس ومحطات شمال افريقيا.³⁴ التي طالما لجأوا
اليها عند حاجتهم الى الارساء سواء عند هيجان البحر وهبوب
الرياح الشديدة أو للاستراحة من تعب السفر والتزود بالماء
والمؤونة، أو لإصلاح سفنهم³⁵، حيث كانوا يرسون ليلا ثم
يستأنفون الابحار نهارا.³⁶

انتهزت قرطاجة فرصة انحطاط المدن الفينيقية في القرن السابع
قبل الميلاد، بسبب التوسع الأشوري واستعادة المدن الاغريقية قوتها
البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، فتزعمت السيادة
البحرية في حوضه الغربي،³⁷ بعدما نمت قوتها، حيث وضعت يدها
على المستوطنات والإسكالات الفينيقية،³⁸ على الاقل منذ القرن
الرابع قبل الميلاد، وكانت من ضمنها مدينة صالداي، اذ أشير في
رحلة سكيلاكس (Scylaxe)، أنها كانت ضمن المدن الساحلية التابعة
لها.³⁹

كما أن الحفريات كشفت لنا عن بعض المخلفات المادية التي تؤكد
استعمال الميناء من قبل هؤلاء، منها تلك المقابر المحفورة في جوف
الصخر،⁴⁰ ونصب تذكارية تظهر فيها الكتابة الفينيقية أو البونية
أغلبها كتابة خشنة.⁴¹ بالإضافة الى كنز عثر عليه في حفرة على
عمق أربعة أمتار، في 24 جوان 1926 أثناء أشغال الحفر لبناء
منشأة عمومية (مدرسة ابتدائية عليا)، والذي أبلغ عنه مدير مستشفى
بجاية أوغست فيل (Auguste Vel) المهتم بالآثار خوفا من
سقوطه في أيدي غير آمنة، حيث أرسل رسالة الى اوجين
البرتيني (Eugène Albertini) مدير الآثار القديمة في الجزائر،
أخبره فيها أنه عثر على كنز وزنه من عشرين الى خمسة وعشرين
كيلوغرام من القطع النقدية البرونزية، تزن كل قطعة من سبعة الى
تسعة غرام ما يعادل حوالي ثلاثة آلاف قطعة.⁴²

وتبين بعد تنظيف القطع النقدية، أن عددها أربعة آلاف قطعة وزنها
حوالي ثلاثون كيلوغرام. يظهر على وجه القطعة رأس شخص ينظر
الى اليسار، يكون لملكة أو ملك شاب، وعلى خلف القطعة حسان

موجه الى اليمين يلتف رأسه الى الخلف. (أنظر الصورة 2) واقترح أوغست فيل أن هذا الكنز نوميدي لأن الرأس ليوبيا الأول، لذا سجل الكنز عند ارساله الى متحف الجزائر في 1927 كنز نوميدي. وبعد التدقيق في القطع النقدية تبين لألبرتينى أنها قد تكون قطع بونية، وفي سنة 1930 قام ادوارد ستانلي روبنسون (Edouard Stanley Robinson) بدراسة 631 قطعة وأكد على أنها عملة بونية، وبعد دراستها عدة مرات من قبل المختصين توصلوا الى أن الرأس الموجود على وجه العملة هو للإلهة تانيت (Tanit).⁴³



الشكل 1. الموقع الذي عثر فيه على الكنز

المرجع: J. Pierre Laporte, Saldæ, Op. Cit, P213.

تحولت بجاية الى أملاك المملكة النوميديية بعد توسع روما على قرطاجة وتدميرها سنة 146 ق.م وتأسيس ولاية إفريقيا الرومانية، وحينها توسعت مملكة نوميديا،⁴⁴ في باقي الأراضي وعلى هذا أصبحت صالداي ضمن أراضي المملكة النوميديية الموحدة في عهد ماسينيسا وفي عهد خلفائه. ومع قلة المصادر حول المرحلة الممتدة بين نهاية حكم يوغرطة وبداية حكم يوبا الأول يصعب الجزم في مصير صالداي خاصة في مرحلة توسع أملاك المملكة الموريطانية، غير أن أغلب الظن أنها كانت تابعة للمملكة النوميديية، فبعد الحرب بين روما ويوغرطة اكتفت روما في عام 105 ق.م بفرض سيطرتها على بعض الموانئ الطرابلسية،⁴⁵ ولربما في هذه الفترة توسعت مملكة موريطانيا على حساب الأراضي النوميديية الى غاية واد الصومام، غير أن ستيفان غزيل يرى أن وصوله الى واد الصومام ضعيف لغيب الأدلة.⁴⁶

ضم بوخوس الثاني صالداي الى الأراضي الموريطانية عام 46 ق.م وذلك خلال الحرب الأهلية بعد الحملة الناجحة التي قادها قيصر على بومباي وحلفائه وعلى اثرها سيطرت روما على الأراضي الممتدة بين طبرقة (Thabarca) إلى مصب الوادي الكبير.⁴⁷ وحينها توسعت مملكة موريطانيا الشرقية وصولا إلى الوادي الكبير⁴⁸. وأصبحت تابعة لأبول جزاء ووقوف بوخوس الثاني الى جانب قيصر خلال حربه على يوبا الأول⁴⁹.

بعد موت الملك بوخوس الثاني، أشرفت روما على تسيير أراضيه التي أصبحت تمتد الى غاية المحيط الأطلسي بعد ضمه لمملكة موريطانيا الغربية، ليتقرر مصيرها عام 25 ق.م، إذ قام الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس بضم مدينة صالداي ومجموعة من المدن الهامة، ومنها مدينة تيوسوبتو (Tubusuptu) وهي مدينة تيكلات الى أراضي الإمبراطورية، ونصّب الأمير النوميدي يوبا الثاني على ملكا على مملكة موريطانيا⁵⁰.

3. المدينة مستوطنة رومانية ومركزا للحياة الاقتصادية:

لأهميته الاستراتيجية التي تحظى بها مدينة صالداي احتفظ بها أوكتافيوس أوغسطس والحقها بالأملأك الرومانية، وقام بتأسيس مستوطنة صالداي عام 25 ق.م، التي منحها حقوق المستوطنة الرومانية،⁵¹ وقدمها للجنود المسرّحين من الفيلق السابع، وهذا ما دلت عليه نقيشة نصب تذكاري مهدي للإمبراطور هادريان (أنظر الصورة 3) وجاء في محتواها:⁵²

[Imp(eratori) C]aesar(i), di[u]i Tra[iani] Parthici
F(illio), diui Neruae[nep(oti), T]raiano Hadriano,
Aug(usto),| [pont(ifici)] max(imo), trib(unicia)|
potest(ate) XXI, co(n)s(uli) III, p(atri) p(atriciae).|
[Col(onia) iul(ia)] Aug(usta) Sa[l(d)itanorum]
leg(ionis)] VII immu[nis].

"الى الامبراطور قيصر أغسطس تراجان أدريان، ابن تراجان البارثي، المؤله، حفيد نيرفا، المؤله، الحبر الأعظم (مكسيم بونتيف)، منحت له سلطة الترابنة للمرة الواحد والعشرين، قنصل لثلاث مرات، أب الوطن، صالداي المستوطنة اليوليانية الأوغسطية، المعفية من الضرائب، الفيلق السابع أهدى هذا المعلم"

بعد توسع روما على حساب مملكة موريطانيا إثر مقتل بطليموس ابن يوبا الثاني، أحداث ولايتي موريطانيا القيصرية والطنجية، أصبحت صالداي ضمن ولاية موريطانيا القيصرية.⁵³ وبقيت على هذا الحال الى أن أضحت ضمن أراضي الولاية الجديدة موريطانيا السطايفية التي ظهرت مع تقسيم موريطانيا القيصرية الى ولايتين، ما بين 288م الى 298م أو 303م وفيها كانت منطقة واد الصومام الحد الفاصل بينهما.⁵⁴



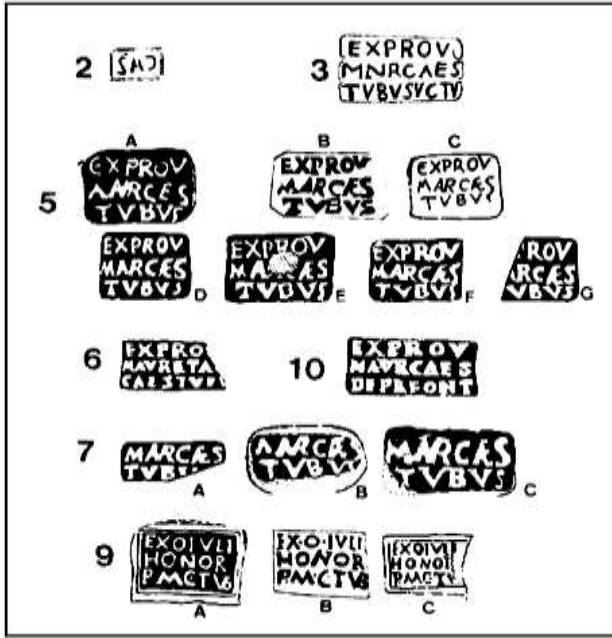
الصورة 3. نقيشة معلم مهدى الى الاميراطور هادريان
Hakim Idirene, Op. Cit, P424.

تم بناء مدينة سالداي على الطراز الروماني، لتستجيب لمتطلبات سكانها مثلها مثل سائر المستوطنات الرومانية، وربطت بشبكة من الطرق في اتجاهات مختلفة، طريق ساحلي متجه الى الشرق يربطها بمدينة ايجيلي (Iggili) جيل حالياً، وطريق يربطها بمدينة تيوسوبتو (Tubusuptu)، والتي يلتقى عندها طريق يربطها بالمدينة الساحلية روسازوس (Rusazus) وهي مدينة أزفون حالياً، وآخر يربطها بمنطقة الهضاب العليا يتجه الأول الى أومال وهي أوزايا (سور الغزلان حالياً) والثاني الى مدينة ستيفيس (سطيف).⁵⁵

حوّل الرومان ميناء سالداي الى واحد من أهم المراكز التجارية، حيث أصبح له دوراً بارزاً في التجارة الخارجية ومعبراً رئيسياً لتصدير ما تنتجه المناطق المجاورة. وبالرغم من قلة الشواهد الاثرية التي تعطينا صورة واضحة عن مختلف عمليات تفرغ وتحميل السفن، إلا أن بعض الدلائل توحي بأن الميناء كانت له مكانة كبيرة.

اذ عثر على أمفورات تعود الى القرن الثاني والثالث ميلادي في مناطق عديدة من العالم القديم تحمل سواءً ختما صغيرا لمدينة صالداي مختصر صد (SAD) (أنظر الشكل 2. الختم 2)، ومنها التي عثر عليها عند التنقيب في حمامات ناچر Thermes du Nageur في أوستيا (Ostie) المأرخة بالقرن الثاني.⁵⁶ وكذلك أختام الأمفورات مدينة تيوسوتو القريبة من الميناء، سواء حاملة لأختام المدينة كاملا (Tubusuptu) (أنظر الشكل 2. الختم 3). أو مختصرا بشكل ت.و.ب Tub (أنظر الشكل 2. الأختام 9). أو بشكل ت.و.ب.و.س (Tubus) (أنظر الشكل 2. الأختام 5 و7).⁵⁷ هذه الأمفورات كانت معبئة بالسوائل قد تكون خمرا أو زيتا أو غروما ولغياب الأدلة الكاملة مال جون بيير لاپورت (Jean- Pierre Laporte) الى اعتبارها زيتا، واستند الى مجموعة من الأدلة أولها انتشار معاصر الزيتون في تيوسوتو، التي من المحتمل أنها تستقبل زيت المناطق المجاورة، باعتبارها تتوسط الطريق المؤدية الى صلداي ومنطقة الهضاب والقبائل الكبرى، لذا من الممكن أنها تشحن جزءا من زيت منطقة سطيف وإنتاج منطقة بجاية وسور الغزلان وإنتاج منطقة القبائل غرب الصومام.⁵⁸

ومن الأماكن التي وصلت اليها هذه الأمفورات، مناطق مختلفة تابعة للأراضي الرومانية، منها مدينة روما عاصمة الإمبراطورية، عثر عليها كل من مونتي ديلا جيوستيزيا (Monte della Giustizia) في حمامات دقلديانوس، كاسترو بريتوريو (Castro Pretorio) في حدائق تورلونيا (Torlonia)، في توستاسيلو (Testacelo). ووجدت آثارها في ميناء أوستيا(Ostie) الذي كان يزود مختلف مناطق الشبه الجزيرة الايطالية على الأقل مدينة برينست (Préneste) ومدينة ألبا فوسنس (Alba Fucens). كما صدرت الى الولاية الرومانية موريطانيا الطنجية اذ عثر عليها في عدة مدن هي مدينة سيلا، وتاموسيدا (Thumusida)، بناسا (Banasa) ووليلي (Volubilis). وفي ولاية مصر الرومانية في ميناء الإسكندرية،⁵⁹ التي من الممكن أنها تزود باقي مناطق الولاية.



الشكل 2. أختام أمفورات نقلت من ميناء صالداي

A. Naciri, F. Widemann, A. Sabir, Op. cit. P 137.

كما اكتشفت أمفورات في ولاية هيسبانيا في مدينة إيشي (Ilici) حاملة لختم [Maur(etania) Ex Prou(incia)/ (C(aesariensi) أو M(auretania) Tubus(uctu) في مدينة بينالوا (Benalúa) وفي مدينة جافيا (Xàbia)، كما كشف عن أمفورات حاملة لنفس ختم في مدينة كوييرا (Cullera)، وفي بلانسية (Valentia) في عدة أماكن في المدينة هي: كرتيس فالنس- قصر بورجياس (Cortes Palau de Benicarló -Valencianas)، شارع سابتيروس (c/ Sabaters)، ساحة سيسنيروس (Pza. Cisneros)، وفي شارع سان فيسينتي (C/ San Vicente).⁶⁰ كما اكتشفت أمفورة في اسبانيا في قاع البحر قد تكون موجهة إلى أحد موانئ غالة.⁶¹

كما عثر على آثار أمفورات تبوسوبتو في مدينة مروى التي تقع في النوبة العليا بين الشلال السادس والخامس لنهر النيل، أثناء عمليات التنقيب في مروى، عثر فيها على أمفورة في حالة جيدة وكاملة بها ختم مدينة تبوسوبتو في القبر الملكي هرم البجراوية رقم 28 (la pyramide Beg. N 28) ، للملك تكديمانى الأول (Teqorideamani) الذي حكم حوالي 266م،⁶² والتي قد تكون خاصة بالنبيذ لوجود أمفورات في المقابر المجاورة خاصة لهذا النوع من السوائل عثر عليها في المقبرة رقم 15، 17، 25 وغيرها.⁶³

الخاتمة:

هكذا تحولت التجارة الى مورد اقتصادي هام لمدينة بجاية، وكانت عاملا في ازدهارها وتألقها طوال الفترة القديمة. لتدهور حالتها وتراجع أهميتها بعد الزحف الوندالى، الذي كان منعظفا حاسما في تاريخها، فلم تعد لها تلك المكانة التي كانت لها من قبل. لكن للأهمية التي يكتسبها المكان استعادت المدينة مركزها كمنفذ رئيسي للتجارة وعاصمة سياسية في العصور الوسطى، حيث اتخذتها للدولة الحمادية عاصمة لها، وسميت بالناصرية نسبة الى الناصر بن علنسان بن حماد. فعمرت بالمساجد والقصور، والصروح المعمارية على الطراز الإسلامى. فبلغت أوج نهضتها، وتحولت الى عاصمة للعلم والمعرفة، هذا ما جعل الشاعر حسن بن على بن عمر القسنطيني (ابن الفكون) الذي عاش في القرن السابع الهجري، يقارنها بأشهر المناطق الحضارية في زمانه فقال:

دع العراق وبغداد وشامها

فالناصرية ما إن مثلها بلد

بر وبحر وموج للعيون به

مسارح بان عنها الهم والنكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع

حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد

والنهر كالصلّ والجنان مشرفة

والنهر والبحر كالمرآة وهويد

فحيثما نظرت راقى وكلّ نوا

حي الدار للفكر للأبصار تنقذ

إنّ تنظر البرّ فالأزهار يانعة
أو تنظر البحر فالأمواج تطرد
يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف
قل: جنة الخلد فيها الأهل والولد.

الهوامش:

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، اتفاقيات دولية، قوانين، أوامر ومراسيم، قرارات، مقررات، منشور، إعلانات وبلاغات، رقم 57، الجزائر، الثلاثاء 1974.

²Nicolas Carayon, Les ports phéniciens et puniques géomorphologie et infrastructures, V. 1. Thèses de doctorat en sciences de l'Antiquité- Archéologie, Université Strasbourg II- Marc Bloch, Strasbourg, 2008, PP 486- 487.

³ حلّمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر الطبيعية بشرية اقتصادية، مطبعة الانشاء، ط2، دمشق، 1976، ص ص 58-59.

⁴ أربيع محند بن أرزقي، انجراف التربة وحمايتها في التل الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 156.

⁵ الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 259.

⁶ حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ج.2، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1983، ص 50.

⁷ محمد العبدري البلبنسي، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة- الجزائر، 2007، ص 49.

⁸ مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح. سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، العراق، دبت، ص 129.

⁹ F. Elie De La Primaudaie, « Le commerce et la navigation de l'Algérie », Revue algérienne et coloniale, Alger, Juin 1860, P129.

¹⁰ Khelifa Abderrahmane, « L'urbanisation dans l'Algérie médiévale », Antiquités africaines, 40-41, 2004. pp. 276.

¹¹ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 129- 130.

¹² محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط دولة قرطاجة إلى سقوط موريطانيا 146 ق م - 40 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 8.

- ¹³ سرجون هامرتون، تاريخ العالم، مج I، تر. إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د.ت، ص 358.
- ¹⁴ G. Boissier, L'Afrique Romaine, promenades Archéologique en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, 3 Ed, Paris, 1907, P85.
- ¹⁵ شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا، تر. محمد ميزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 3، تونس، 1978، ص 16.
- ¹⁶ <http://hikersbay.com/climate-conditions/algeria/bejaia/alzrwf-almnakhyh-fy-bjayh.html?lang=ar#weather-rain-months>.
- ¹⁷ S. Gsell, H.A.A.N, T.I, librairie Hachette, Paris, S.D, P 95.
- ¹⁸ Sailing directions (enroute), for the western mediterranean, Published by the defence mapping center.2. Ed, USA, 1975, P130.
- ¹⁹ S. Gsell, Op. Cit, P6.
- ²⁰ Ch. Texier, 1952, « Bougie antique », Revue archéologique, 8, P575.
- ²¹ حلومي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 36.
- ²² J. Masselot, Ville et rade de Bougie, province de Constantine Algérie, Imprimerie et librairie F. Biziou, Bougie, 1869, P 13.
- ²³ Sailing directions (enroute), Op. Cit, PP130- 131.
- ²⁴ Nicolas Carayon, Les ports phéniciens et puniques géomorphologie et infrastructures, V. 1. Thèses de doctorat en sciences de l'Antiquité- Archéologie, Université Strasbourg II- Marc Bloch, Strasbourg, 2008, P487.
- ²⁵ حلومي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 36.
- ²⁶ Nicolas Carayon, Op. Cit, P487.
- ²⁷ الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 260.
- ²⁸ Libyca, Anthropologie-Archéologie Préhistoriques, T.2, 2^{eme} sem., Gisement N°42, 1954, P93.
- ²⁹ A. De Beaumais et P. Royer, « Fouilles de l'adrar Gueldamen, 1^{ere} partie », Bulletin de la société préhistorique française, T23, N° 9-10, 1926, P 226.
- ³⁰ Libyca, Gisement N43, Op. Cit., P96- P98.
- ³¹ S. Gsell, Op. Cit, P211.

- ³² Strabon, Géographie de Strabon, Tr. Amedee Tardieu, Librairie Hachette & Cie, Paris, 1880, XVII, 3, 12.
- ³³ مادلين هورس ميادين تاريخ قرطاج، ت إبراهيم باش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 82.
- ³⁴ عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في اقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح طرابلس، ليبيا، 2005، ص 25-26.
- ³⁵ أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1959، ص 80.
- ³⁶ أبو محاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 1981، ص 54.
- ³⁷ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003، ص 108.
- ³⁸ S. Gsell, H.A.A.N, T2, Ed. Librairie Hachette, Paris, 1918, PP 157-158.
- ³⁹ محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الافريقية بين 146 ق.م و 285م، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص 128.
- ⁴⁰ Edouard Cat, Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne, Ed. Ernest Leroux, Paris, 1891, P87.
- ⁴¹ Ch. Texier, Op. Cit, P574
- ⁴² J. Pierre Laporte, « Saldae (Bougie): un trésor de monnaies puniques enfoui vers la fin de la seconde guerre punique », Bulletin de la société nationale des antiquité de France, 2002, PP211- 216.
- ⁴³ J. Pierre Laporte, « Saldae (Bougie): un trésor de monnaies puniques enfoui vers la fin de la seconde guerre punique », Bulletin de la société nationale des antiquité de France, 2002, PP211- 216.
- ⁴⁴ Th. Mommsen, Histoire Romaine, Trd. R. Cagnat, J. Toutain, T. 11, Ed. Imile Bouillon, Paris, 1889, P 255.
- ⁴⁵ E. Albertini, L' Afrique Romaine, Presses de l'imprimerie officielle, Alger, S. D, P17.
- ⁴⁶ S. Gsell, HAAN, T7, librairie Hachette, Paris, 1928, P267.
- ⁴⁷ E. Albertini, Op. Cit, P17.

- ⁴⁸ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ب. ت، ص 102.
Th. Mommsen, Op. Cit, P260. ⁴⁹
E. Albertini, Op. Cit, P17 ⁵⁰
- Pline, Histoire naturelle, Trad. M. E. Littré, T1, libraires Imprimeurs de l'institut de France, France, 1877.V. 20. ⁵¹
- ⁵² Hakim Idirene, « Inscriptions inédites de l'antique Saldae (Bejaia, ex Bougie) », Antiquités Africaines, 2002, P424.
Th. Mommsen Op. Cit, P264. ⁵³
- ⁵⁴ Paul Petit, Petit Paul, Histoire Générale de l'empire, le bas empire, Editions du Seuil, Paris, 1974, P402
⁵⁵ Edouard Cat, Op. Cit, PP 262- 264.
- ⁵⁶ A. Naciri, F. Widemann, A. Sabir, « Distinction par analyse par activation neutronique des amphores Gauloise⁴ et de leurs imitations tardives en Maurétanie Césarienne : les Dressel 30 », Antiquités Africaines, T 22, 1986, P 130- P133.
- ⁵⁷ Aicha Ben Abed Ben Khader, « Amphore Mauritanienne de la station 48 de la place des corporations », Antiquités Africaines, T 35, 1999, P 171.
- Jean- Pierre Laporte, « Les amphores de Tubusuctu et ⁵⁸ l'huile de Maurétanie Césarienne », BACTH, n. s., 12-14, 1980, P140- 143.
⁵⁹Ibid. P137
- ⁶⁰ A. Mrabet et autres, In Africa et In Hispania : Etudes sur l'huile Africaine, Publications i Edicions Universitat de Barcelona, Barcelona, 2007, P236.
Jean- Pierre Laporte, Les amphores, Op. Cit, P138. ⁶¹
Ibid. P138. ⁶²
- ⁶³ Robert Lequément, 1980, « Le vin africain à l'époque impériale ». Antiquités africaines, 16, P190.